دمشق التاريخ

دمشق... من أقدم المدن في العالم، ظلّت عامرةً ومأهولةً باستمرار.. تعدّدت ألقابها، وتنوّعت بتنوّع الحضارات التي تعاقبت عليها، نظراً لما لها من مكانةٍ علميةٍ وثقافيةٍ ودينيةٍ وسياسيةٍ وتجاريةٍ عُرفت بها على مرّ العصور، فهي (روضة الغوطة الغنّاء) وبردى بفروعه السبعة، والياسمين، وهي (الفيحاء) و(الشام) و(جلّق) و(لؤلؤة الشرق) و(أمّ الدنيا) وهي (المتحف الحيّ) لجميع حقب التاريخ التي مرّت عليها خلال آلاف السنين..

واسم (دمشق) ذُكر في (سفر التكوين) كما تكرّر ذكره في العهدين القديم والجديد.. وورد الاسم في النصوص الآشورية بلفظ (دا ماش قا).. وفي النصوص الآرامية بلفظ (دارميسك) أيْ (الأرض المسقية) أو (أرض الحجر الكلسي) وفي العصور الإسلامية أطلق عليها اسم (الفيحاء) و(جلّق) .. و(الشام) من قبيل تسمية الفرع باسم الأصل..

تعدّ دمشق أول مدينة في العالم عُرفت توزيع المياه وإيصالها إلى المنازل والمزارع، مما جعلها واحةً ظليلةً داخل الصحراء التي تحيط بها من جهاتها الأربع.

وقد قام إنسان الكهوف بنشاطٍ واسع في المنطقة الأولى التي نزلها في دمشق– شرق (باب توماً) و(باب شرقي)– حيث أخذ يشقّ أقنية (بردى) شرق المدينة.. وسكن تلك المناطق التي تجاور مزروعاته ومنتجاته.. وكان للزراعة الأثر الأكبر في نمو السكان.. وقد دأب على إصلاح الأقنية،

معبد جوبيتر

والتوسّع بالمنطقة الزراعية، حتى تشكّلت تلك الواحة الضخمة، والممتدة إلى مسافاتٍ واسعة.. فأخصبت الأرض، وعاش الإنسان في تلك الأزمنة في بيوتٍ صنعها من أغصان الأشجار والقصب الذي يحيط بضفتي (بردى)..

وهذا ما ساعد أهل المدينة والريف على إجراء المبادلات التجارية مع جوارهم، وبخاصةٍ سكان البادية المحيطة بـريف دمشق..

وسكن إنسان الكهوف (تل المعبد/الجامع الاموي) لأغراضٍ دينيةٍ.. وكان أعلى تلال دمشق.. لذلك اختاره (العموريونَ-الكنعانيون) لإطلالته الجميلة على غياض دمشق ورياضها من جهةٍ، ولأنه يمكّنهم من السيطرة على المدينة وسكانها من جهةٍ ثانيةٍ، ولقربه من مصادر مياه دمشق من جهةٍ ثالثةٍ..

وقد استمرّ ذلك إلى ما بعد الفتح الإسلامي، وهذا أيضاً ما لفت أنظار «معاوية بن أبي سفيان» فتحوّل من الحجاز إلى الديار الشامية، ثم قام خلفاؤه ببناء القصور في بادية الشام، وعاشوا فيها على الرغم من امتلاكهم القصور الفخمة في دمشق .

ازدهرت دمشق على أيدي (العموريين-الكنعانيين) سكان دمشق وسادتها، وجعلوا منها واحةً خضراء، وجنة الدنيا لمدة آلاف السنين.. وقاموا في الألف الثالثة قبل الميلاد بتخطيط المدينة، وبناء المعبد اللائق على تلّة قريبةٍ من (منطقة مئذنة الشحم) وعملوا على شقّ (قناة بانياس) أو (باناس - بانا) .

ثم بدأ ظهور موجاتٍ من الهجرات الآرامية التي شكّلت بعض الأحياء من الجهة الشرقية للمدينة، فغدا الآراميونٍ سادة الموقف.. وأصبحت المدينة ملكهم.. ثم شكّلوا دولة قوية بقيت في أوج عظمتها أكثر من خمسة قرون، وبقيت المدينة محتفظة بهندستها وتميّزها، وبقيت الأسواق ضمن إطارها القديم..

في عام ٦٣٥ ميلادية، فتحت الجيوش العربية الإسلامية بلاد الشام، وكان ذلك بداية المرحلة الذهبية لمدينة دمشق التي أصبحت عام ٦٦١ عاصمة للدولة الأموية التي امتدت من الأندلس في الغرب إلى بلاد الهند في الشرق، وأضحت أهمّ مركزٍ للثقافة العربية والإسلامية.

دخلت دمشقٍ في حكم العثمانيين ٩٢٢هـ/ عام ١٥١٦م، وأصبحت مركزاً لإحدى الولايات الرئيسية في الدولة العثمانية.. ثم تخلّصت من الحكم العثماني في أواخر عام ١٩١٨.... وأعلن فيها حكمٌ عربيّ في ١٩٢٠/٣/٨ ما لبث أن انهار بعد بغزوٍ فرنسيّ إثر معركة ميسلون في ١٩٢٠/٧/٢٤.
وخضعت سورية وعاصمتها دمشق للاحتلال الفرنسي .. وفي عام ١٩٢٥ تفجّرت في دمشق وغوطتها أحداث الثورة السورية الكبرى.. حتى تحقّق جلاء الجيش الفرنسي في ١٧ نيسانٍ عام ١٩٤٦ فأصبحت دمشق أول عاصمة دولةٍ عربيةٍ مستقلّة في العصر الحديث .

سور المدينة

بُني سور دمشق فِي العهد الروماني بالحجارة الضخمة المدبّبة، وكان مستطيلَ الشكل. وقد زُوّد في البداية بسبعة أبوابٍ، ولكن أبواب السور الغربي كان عددها يزيد وينقص من حينٍ لآخر، بحسبِ أوضاع البلاد العامة، وكان كلما جُدّد السور سُدّت أبوابٌ وفُتحت أبواب أخرى.

أحاط السور بدمشق إحاطة السوار بالمعصم، بلغ طوله ١٥٠٠ متر، وبلغت مساحة المدينة القديمة داخله ١٠٥ هكتاراتٍ، وقد وقفت أمام السور جيوش الفتح العربي لدمشق عام ١٤ للهجرة.. ثم عندما انتقلت الخلافة من أيدي الأمويين إلى العباسيين، وتحوّلت عاصمة الدولة من دمشق إلى بغداد، عمد العباسيون إلى دخول دمشق، فقاموا بهدم أجزاء من السور التاريخي، كما ساعدت عوامل الزمان على تآكل بعض جوانبه، لكن السلطان «نور الدين الشهيد» أعاد ترميمه، وبنى عليه الأبراج الدفاعية ، كما قام ببناء سور مزدوج في المنطقة الممتدّة من باب السلام وباب توما حتى البَاب الشَرقي، بحيث أصبحت المنطقة الواقعة بين هذين السورين تعرف باسم ما (بين السورين) ، إلا أن الهمجية المغولية عملت على تخريب أجزاء من السور والأبواب..

أبواب دمشق

تجلّت براعة الأوائل من سكان دمشق ببناء أسوار المدينة، وأبوابها المنيعة التي لعبت دوراً كبيراً في حماية السكان ومنازلهم داخل السور، إذْ لا يمكن الوصول إلى المدينة إلاّ عبر هذه الأبـواب التي يسهل إغلاقها في وجه أيّ هجومٍ مفاجئ.

من أبواب دمشق كان يدخل التاريخ، بالعمران ،ومنها دخل الغزاة والفاتحون والتجّار والبضائع والحرير والثقافات والفلاسفة والمتصوّفون والأدباء وقادة الدول. وكل بابٍ يحمل تاريخ من مرّوا ودخلوا من تحت قوسه.

ذكر بعض المؤرّخين أن عدد الأبواب ثمانيةٌ كعدد أبواب الجنة، وقال بعضهم الآخر: إن اليونان القدماء اختطوا لدمشق سبعة أبوابٍ، وتبعهم الرومان في ذلك ، وكانوا يقفون لكل بابٍ كوكباً من كواكب السماء السبعة اللامعة، كما يقول «ابن عساكر» ،وهي الباب الشرقي للشمس، وباب كيسان لزُحَل، وباب الصغير للمريخ، وباب الجابية للمشتري، وباب الجينيق للقمر، وباب الفراديس لعُطارَد، وباب توما للزُّهرة، وقد زاد عدد هذه الأبواب ونقص من عصر إلى آخر، وبخاصة في السور الغربي .ويلاحظ أن عدد أبواب المدينة في الجهة الشمالية أكثر منه في الجهات الأخرى،

وذلك لعدم إمكان حدوث هجوم عدوانيّ من هذه الجهة، بسبب الحماية التي توفّرها قنوات المَياه (بردى وفروعه العقرباني والدعياني)، فضلاً عن وجود تضاريس طبيعةٍ يصعب اجتيازها تتصل بسفح جبل قاسيون.

ويمكن أن نذكر من أبواب المدينة:

١- باب البريد: وهو الباب الغربي لمعبد (جوبيتير) ويقع قرب الأموي، بين الحميدية والمسكية، وقد كان موجوداً حتى العهد الأيوبي.

٢- باب توما: يقع في الجهة الشمالية الشرقية للمدينة القديمة قرب حيّ القصاع. وهو من الأبواب السبعة الأصلية لدمشق ، وهو بابٌ رومانيّ، يُنسب إلى «توما» أحد عظماء الرومان، كانت تقع عنده كنيسةٌ، حُوّلت إلى مسجدٍ بعد الفتح العربي لدمشق، وترتفع على الباب مئذنةٌ، ثم أُزيل المسجد في بداية الاحتلال الفرنسي، وكانت توجد عنده في القديم (باشورة) أيْ (سوقٌ صغيرة) ذات حوانيت يمكن إغلاقها، ليتمكّن أهلها من البقاءِ فيها عند حدوث الغارات، أو في أيام حصار المدينة. وقد أعيد بناؤه في عهد الملك الأيوبي «الناصر داوود» عام ١٢٢٨ م . وفي أثناء العهد المملوكي قام «الأمير تنكز» بتجديده عام ١٣٣٣ م. وقد أصبح الباب أنموذجاً من نماذج المنشآت العسكرية الأيوبية المتطوّرة في أوائل القرن الثالث عشر الميلادي، يعلوه قوسٌ مجزوءٌ، وشرفتان بارزتان، لهما

دورٌ عسكريّ وتزييني معاً، ويُروى أن «عمرو بن العاص» نزل عليه يوم الفتح الإسلامي لدمشق.

باب توما

٣- باب الجابية: يقع في الجهة الغربية من سور المدينة القديمة، عند نهاية السوق الطويل (الشارع المستقيم) مواجهاً (الباب الشرقي) في الطرف الثاني من الشارع، عند مدخل سوق مدحت باشا حالياً. وهو من الأبواب السبعة الأصلية لدمشق ، أتت شهرة هذا الباب والباب الشرقي من عبور جيوش المسلمين منهما بقيادة «خالد بن الوليد» و»أبو عبيدة بن الجرّاح» لفتح المدينة . وكان هذا الباب مؤلفاً من ثلاث فتحاتٍ ، لم يبقَ منها إلاّ الفتحة الجنوبية . وقد أعاد «الملك

نور الدين محمود» ترميمه عام ١١٦٥ م، ثم قام «الملك شرف الدين عيسى» بتجديده. وكان يتألف من ثلاث فتحاتٍ أكبرها الوسطى، وسُميَ بهذا الاسم لأنه يؤدّي إلى (قرية الجابية) التي تقع في هضبة الجولان. ويقال إن «أبا عبيدة بن الجرّاح» دخل دمشق من باب الجابية صلحاً عند الفتح الإسلامي لها.

٤- باب السلامة: ويُعرف اليوم بـ(باب السلام) وقد أطلق هذه التسمية «ابن عساكر» «تفاؤلاً، لأن الباب لا يشهد قتالاً على البلد من ناحيته، وذلك بسبب كثرة الأشجار والأنهار في الجهة التي يقع فيها.. وكان الوافدون إلى دمشق يدخلون منه للسلام على الخلفاء الأمويين، وهو من الأبواب العربية المحدثة، وهو ثاني بابٍ أيوبيّ شُيِّد بعد باب توما، ويشبهه بقوسه وكوّته وشرفتيه. ويقع ما بين باب توما وباب الفراديس، يُقال إنه أنشئ في عهد «الملك نور الدين محمود» سنة ١١٦٤م، ثم تهدّم، فأشار «الملك الصالح نجم الدين أيوب» بتجديده عام ١٢٤٣ م، وهو لا يزال قائماً حتى اليوم.

٥- الباب الشرقي: بُني في العهد الروماني، أوائل القرن الثالث للميلاد، وهو من الأبواب السبعة الأصلية لدمشق، يقع في الجهة الشرقية من سور المدينة، وينتهي عند (الشارع المستقيم) الواصل بينه وبين باب الجابية، وهو الباب التاريخي الذي شهد أهمّ الأحداث التي وقعت أمامه، ومنه دخل «خالد

بن الوليد» أيام الفتح الإسلامي، بعد حصار المدينة واستسلام أهلها، كما دخل منه جيش العباسيين بقيادة «عبد الله بن علي» بعد انتهاء دولة الأمويين.

باب شرقي

يتألف الباب من ثلاث فتحاتٍ، أكبرها الفتحة الوسطى، التي سُدّت مع الفتحة الجنوبية في القرون الوسطى، ولم تبق إلاّ الفتحة الشمالية التي تعلوها صفوفٌ من أحجار السور. وقد جُدّد الباب في عهد «السلطان نور الدين زنكي» سنة ١١٦٣م، وهو الباب الوحيد الذي لا يزال يحتفظ بطراز عمارته الرومانية حتى اليوم .

٦- الباب الصغير: يقع في الجهة الجنوبية الغربية، عند حيّ (الشاغور) وهو أصغر أبواب السور السبعة الأصلية، أعاد بناءه «الملك نور الدين الشهيد» عام ١١٥٦ م، وعليه كتابةٌ بالخط الكوفي تشير إلى أن «نور الدين» رفع حقّ التسفير عن التجّار الذاهبين إلى العراق والعائدين منها،كما قام بتجديده «الملك عيسى بن أبي بكر الأيوبي»عام ١٢٢٦وسُمَّيِ الباب الصغير لأنه أصغر أبواب دمشق، وقد أُنشئ صغيراً لخطورة الجهة الجنوبية على دمشق، فهي مفتوحةٌ، ولا توجد أمامها حواجز طبيعيةٌ من الأنهار والأشجار كالجهة الشمالية، وقد أطلق عليه بعضهم اسم (باب الشاغور) ويقال إن «يزيد بن أبي سفيان» نزل عند هذا الباب في أثناء الفتح الإسلامي، كما يُروى أن الملك المغولي «تيمورلنك» دخل منه سنة ٨٠٣ هجري.

٧- باب الفراديس: وهو من الأبواب السبعة الأصلية للمدينة ، يقع بين باب الفرج وباب السلام، على الجهة الشمالية، وسُميَ بـ(الفراديس) لكثرة البساتين أمامه، ويسمى أيضاً (باب العمارة) لوجوده في حيّ العمارة، أعاد إنشاءه «الملك الصالح عماد الدين إسماعيل» سنة ١٢٤١ ثم أعيد ترميمه في عهد «الملك الصالح نجم الدين أيوب» عام ١٢٤١ م.

٨- باب الفرج: وهو من الأبواب العربية المحدثة ، يقع في الجهة الشمالية من سور المدينة،بالقرب من القلعة،بين العصرونية والمناخلية،لذلك أسماه بعضهم (باب المناخلية)، كما أسماه بعضهم الآخر (باب البوابجية) ، يؤدّي إلى (الدحداح). وهو بابٌ مزدوجٌ، أقامه «الملك نور الدين محمود» وعمل على ترميمه «الملك الصالح إسماعيل» عام ١٢٤١ م. وسُمَّي في عهده (باب الفرج) نظراً لما وجد الناس فيه من الفرج باختصار المسافة في الدخول والخروج من المدينة.

٩- باب كيسان: وترجع تسميته إلى «كيسان» مولى الخليفة «معاوية بن أبي سفيان» الذي أعتقه بعد نزوله على الباب، إبّان الفتح الإسلامي لدمشق سنة ١٤هـ/٦٣٥م. وهو أحد أشهر أبواب دمشق السبعة الأصلية، يقع خارج سور المدينة القديمة، في الجنوب الشرقي، عند دوّار المجاهد «حسن الخراط».. أغلقه السلطان «نور الدين الزنكي» وأعيد فتحه في عهد المماليك سنة ١٣٦٣م على يد «الملك الأشرف ناصر الدين شعبان الثاني» . ثم أعيد إنشاؤه وترميمه في أثناء الاحتلال الفرنسي لسورية، وقد بُنيت خلفه (كنيسة القديس بولس) . وأصبح الباب مدخلاً للكنيسة التي شُيّدت عام ١٩٣٩.

وتروي المصادر التاريخية أن هذه الكنيسة بُنيت في المكان الذي تمّ فيه إنزال «بولس» بسلّة من فوق السور، فتمكّن من الهرب خوفاً من بطش الرومان واليهود، والوصول إلى أوروبا، حيث نشر الديانة المسيحية.

باب كيسان

١٠- باب الجينيق: ويقع بين بابِ توما وباب السلام. وقد سُدّ منذ عهدٍ بعيدٍ، كانت عنده كنيسةٌ، حُوّلت إلى مسجدٍ فيما بعدُ، ثم تحوّل المسجد مع الأيام إلى بيوتٍ للسكن، لا تزال بعض آثار الباب على جدار السور ظاهرةً للعيان، ولاسيما القوس الذي كان يعلو الباب.

١١- باب جيرونٍ: ويقع شرقي المسجد الأموي/ النوفرة، ولا تزال آثاره باقيةً حتى اليوم.

١٢- باب الحديد: وهو الباب الشمالي للقلعة.

١٣- باب سريجة: ويقع غربي باب الجابية.

١٤- باب النصر: يقع على الجهة الغربية للسور جنوبٍ القلعة مباشرة من سوق (الأروام (بداية سوق الحميدية حالياً من جهة (شارع النصر) .أنشأه «نور الدين» ثم هُدم أيام الوالي العثماني «محمد رشدي باشا الشرواني» سنة ١٨٦٣.

قلعة دمشق

تعدّ قلعة دمشق من المعالم السياحية البارزة التي بُنيت على مستوى المدينة، خلافاً لسائر قلاع بلاد الشام، فهي لا تقوم على ذروة تلٍّ أو جبلٍ . وقد أنشأها الحكام السلاجقة– في البداية- بحجارة سور المدينة، لتكون قصراً حصيناً لهم. فأحاطوها بالأسوار والأبراج والخنادق، وأقاموا في داخلها جميع مستلزمات الحياة المدنية، حتى غدت مدينة داخل مدينةٍ. لذلك كانت في أثناء الغزو الصليبي ملاذاً لسلاطين مصر والشام، من أمثال نور الدين وصلاح الدين والملك العادل والظاهر بيبرس الذين كانوا يديرون من داخلها شؤون الحرب والسياسة، ويُسيّرون منها الجيوش لملاقاة الصليبيين . إلاّ أن «الملك العادل» وجد أنها لم تعد تؤدّي الأغراض المطلوبة، ولا تساير متطلّبات العصر، فقرّر هدمها، وإعادة بنائها من جديدٍ، فغدت قلعةً حديثةً، تعكس آخر ما وصلت إليه فنون العمارة العسكرية بأسوارها الضخمة، وأبراجها الاثني عشر الشاهقة، وشرفاتها البارزة، ومرامي النبال الثلاثمائة.

تبلغ مساحتها ٣١٧٦م٢ وهي ذات شكلٍ مستطيلٍ ذي أضلاعٍ غير مستقيمةٍ، يبلغ طولها٢٤٠-٢٥٠متراً وعرضها ١٢٠-١٦٥ متراً، يحيط بها من الخارج سورٌ منيعٌ ذو أبراج مربّعة ضخمةٍ يبلغ عددها ١٢ برجاً، وتعلو الأسوار (رواشن)

من الحجر النحيت، ولأسوار القلعة أربعة أبواب؛ الباب الحديث في الشمال وأمامه جسرٌ، والباب الشرقي وهو المدخل الرئيسي، وبابان للسرّ يتّصلان بجسور متحرِّكة فوق خندق يحيط بالقلعة تمّ توسيعه عام ١٢١٤-١٢١٦م يتسع ويضيق بعرض عشرين متراً، إلى خمسة أمتار، وقد رُدم الخندق إلاّ من الجهة الشمالية حيث أصبح مجرىً لنهر العقرباني.

قلعة دمشق

لعبت القلعة دوراً هاماً في الدفاع عن المدينة، وبخاصةٍ عند غزو التتار لبلاد الشام عام ١٢٥٩م. غير أنها سقطت أمام عنف ضربات المنجنيقات التي أتت على البرج الغربي/ الجنوبي، ولكن ما إن استقرّت الأحوال، حتى نهض «الملك الظاهر بيبرس» بترميمها، ففيها كان يقيم، ويدير معاركه ضدّ

الصليبيين والتتار، وعندما تُوفي دُفن فيها، ثم نُقل جثمانه إلى المدرسة الظاهرية.

استعملت داخل القلعة زمن الحروب، أسلحةٌ مختلفةٌ للدفاع عنها، من أهمها (المنجنيق) الذي يقذف الحجارة الكبيرة، و(المكحلة أو المدفع) الذي يُحشى بكحل البارود، كما استُعملت (قوارير النفط) و(القوس والنشّاب).

وفي العصر العثماني، أصبحت القلعة مقرًّا للإنكشارية، يرأسها (آغا القلعة) ومهمته استقبال الوالي وتوديعه، كما استخدمت القلعة سجناً ومعتقلاً، وكانت مجالاً للفتن والاختلافات، ثم أصبحت المقرّ الوحيد للحامية العسكرية.

ثم أهمل الأتراك القلعة إهمالاً تاماً، فرُدمت خنادق الحماية المحيطة بها، وأقيمت مكانها أجزاء من أسواق الحميدية، والعصرونية، والخجا. أمَّا في الآونة الأخيرة،ومنذ عام ١٩٨٢ فقد تمّ إخلاء القلعة من الأبنية المضافة ، وأزيل سوق الخجا، الذي كان يغطي واجهتها الغربية، وأخليَ منها السجن المدني، وتمّ إعادة بناء البرج الجنوبي الغربي كاملاً، وترميم الأسوار الشمالية، وإبراز أجزاء القلعة السلجوقية المتقدّمة زمنياً (عام ١٩٨٨م) .

وبدأت فيها عمليات إصلاح وترميم واسعة النطاق، أعادت إليها بهاءها السابق ورونقهاً التاريخّي الذي يؤهّلها لتكون مقرًّا للمتحف الحربي، وللعديد من النشاطات الثقافية والفنية الأخرى.

العملات في العهد الأموي

كان العرب يتداولون أنواعاً من العملات،منها النقود الفارسية الكسروية والبيزنطية، وكانت تحمل صورهم، وتُحسب قيمتها الشرائية على أساس وزنها مقابل الذهب الصافي، وليس على أساس قيمتها الاسمية.

ثم أنشئت في العهد الإسلامي الأول دورٌ لسكّ نقودٍ معدِّلة في بعض الولايات العربية، واستمرّ استعمالها وتداولها حتى بدايات العهد الأموي بطابعٍ إسلامي.

وعندما صارت دمشق عاصمة الخلافة العربية، أنشأ الخليفة الأموي «معاوية بن أبي سفيان» عدّة دورٍ لضرب العملة في أنحاء الولايات التابعة للدولة الأموية، فسُكَّ في عهده (الدينار الذهبي) إلى جانبِ الدراهمِ الفضية الساسانية والبيزنطية، التي بقيت مستعملةً ومتداولةً ، سُك بعد ذلك (الدينار الذهبي) الأموي المشهور، في عهد الخليفة «عبد الملك بن مروان» وكان متأثّرا بالعملاتِ البيزنطية والساسانية، وعليه صورة الخليفة الأموي متقلّدا سيفه ، رمزاً لأمير المؤمنين المسلم، وللدولة الإسلامية القوية.

ثم قام «الخليفة عبد الملك بن مـروانٍ» بإعادةٍ توحيدٍ مقاييس النقودِ، ومواصفاتها، فسكّ نقوداً إسلاميةً عربيةً جديدةً، خاليةً من أيّ رسومٍ أو صورٍ، فتميّز كل من (الدينار الذهبي) و(الدرهم الفضي) بوجود الآيات القرآنية، والعبارات الإسلامية، واستبعاد الرسوم التصويرية من العملات التي سُكّت حتى نهاية العهد الأموي.

بعض العملات في العهد الأموي

المسجد الأموي

واحدٌ من الآثار العمرانية الفريدة، بُنيَ في مكان معبد (حدد الآرامي). و(حددُ) هو إله العاصفة السوري، أو إله الصاعقة والبرق، ومن المرجّح أن المعبد أصبح يحمل اسم (معبد جوبتير الدمشقي) بعد سيطرة الرومان على المدينة . ويقع المعبد إلى جوار كنيسةٍ، وهو أول مسجدٍ في الشام، وأوّل من صلّى فيه «خالد بن الوليد» ومعه الصحابة الذين شاركوا في فتح المدينة . ثم أقيم فيه أوّل محرابٍ، ومازال حتى اليوم يحمل اسم (محراب الصحابة) . وقد كانَ المسلمون والنصارى يدخلون من بابٍ واحدٍ، ويصلّون في مكانٍ واحدٍ، ولكنهم يقفون في طرفين، ويتّجهون إلى وجهتين مختلفتين.

آ- بـنـاء الـجـامـع:

بدأ «الخليفة الوليد بن عبد الملك»الاستعداد لعملية البناء في عام ٨٦ هـ/٧٠٥م . وقد أمر بهدم كل مداخل المعبد– من دون الكنيسة- من منشآتٍ رومانيةٍ وبيزنطيةٍ، وأبقى على الجدران فقط ،كما أعيد استخدام حجارة المعبد اليونانية في أجزاء من البناء . وقد أنفق على بناء الجامع خراج الشام سنتين ، وقيل إنه أخذ ربع أعطياتٍ من أهل دمشق لمدّة تسع سنين، وكانت خمسةٍ وأربعين ألفاً، يستعين بها على عمارة الجامع، وقيل إن ما أنفق على الجامع بلغ أربعمائة صندوقٍ،

في كل صندوقٍ أربعة عشر ألف دينارٍ، أيْ خمسة ملايين وستمائة ألف دينارٍ ذهبي .

لم يحافظ الجامع على الشكل الذي بُني عليه، فقد تعرّض لكثيرٍ من الحرائق والزلازل التي غيّرت كثيراً من معالمه الأصلية. كما تعرّض للإهمال مدّة طويلة من الزمن ، وكان الخليفة الأموي «عمر بن عبد العزيز» قد أراد إزالة مظاهر الترف منه، لأنه رأى فيها خروجاً عن التعاليم الإسلامية، لكن أهل الشام دافعوا عن زينة الجامع، لأنها بُنيت من أموالهم وبجهدهم، وليس من بيت مال المسلمين، فعدل «عمر» عن فكرته.

ساحة الجامع

ب- أقسام الجامع الأموي:

على الرغم من أن العمارة البيزنطية كانت سائدةً في بلاد الشام إلاّ أن تصميم الجامع لم يتأثّر كثيراً بالفنّ المعماري للحضارات التي سبقت ظهور الإسلام، بل كانت عمارته امتداداً معماريًّا للمسجد الحرام والمسجد الأقصى، استوحيت هندسته من شعائر الدين الإسلامي التي شكّلت أساس بناء المساجد الكبرى، وقد سُمِّي بالـ(جامع المعمور) تيَّمنا بالمسجد الحرام في مكة، وهو اسمٌ من أسماءٍ عدِّة اشتهر بها الجامع، ومنها (جامع بني أمية) و(الجامع الأموي) و(مسجد التين)..

بُنيت جدران الجامع الأموي الجنوبية والشمالية على بقايا جدران المعبد، مقابل (سوق القباقبية)، أما الجداران الغربي والشرقي فقد بُنيا مع الجامع، أيام الخليفة «الوليد بن عبد الملك». أما الأبواب الخارجية الرئيسية للمسجد فهي الآن :

١- باب البريد/الباب الغربي:ويقع على الحائط الغربي للجامع مقابل ساحة المسكية ، وهو مؤلّف من ثلاث فتحاتٍ ، في الوسطٍ بابٌ كبيرٌ، وإلى جانبيه بابان صغيران ، سُمي بهذا الاسم نسبةً إلى باب معبد (جوبيتر الغربي) المقابل له، والذي كان يعرف باسم بابٍ البريد . ويُطلق على هذا الباب الآن أسم (باب المسكية) ، نسبةً لسوق المسكية المقابل له.

٢- باب جيرون/الباب الشرقي:يقع على الحائط الشرقي للجامع مقابل حيّ النوفرة، وهو مؤلفٌ من ثلاث فتحاتٍ ، في

الوسط بابٌ كبيرٌ، وإلى جانبيه بابان صغيران ، سُمي بهذا الاسم نسبةً إلى باب معبد (جوبيتر الشرقي)الواقع في نهاية حي النوفرة، والذي كان يعرف باسم باب جبرون ، ويُطلق على هذا الباب اليوم اسم باب النوفرة، نسبةً لحي النوفرة المقابل له.

٣- باب الكلاّسة/الباب الشمالي: ويقع على الحائط الشمالي للجامع، وهو مؤلّف من بوابةٍ واحدةٍ ، سُمي بهذا الاسم نسبةً إلى حيّ الكلاّسة المقابل له ، ويعرف أيضاً بباب العمارة نسبةً لحيّ العمارة القريب منه.

مأذنة الجامعة الأموي

٤- باب الزيادة/الباب الجنوبي: ويقع في الجهة الغربية من الحائط الجنوبي، مقابل سوق الصاغة، وهو الباب الوحيد المؤدّي إلى حرم المسجد ، سُمي بهذا الاسم لكونه قد أُحدث زيادةً في جدارِ المعبد عند بناء الجامع ، ويُسمى أيضاً بباب الصاغة، نسبةً إلى سوق الصاغة المقابل له.

ج- صحن الجامع والأروقة:

يقع صحن المسجد في الجزء الشمالي منه، ويشكّل مستطيلاً تحيط به ثلاثة أروقةٍ مسقوفةٍ (ممرّات) وتوجد داخل الصحن ثلاث منشآتٍ صغيرة هي:

قبّة المال: أُنشئت في العهد العباسي، واستُعملت كخزنةٍ لأموال الجامع ، ومن ثم جُعلت مكتبةً لحفظ كتب الجامع ومخطوطاته النفيسة .

قبّة البحرة: أنشئت بدايةً في العهد العباسي، وجُدّدت في العهد العثماني، وهي عبارةٌ عن بركة ماءٍ، فوقها قبّة (شادروان) أزيلت في ستينيات القرن العشرين، ثم أعيد إنشاؤها خلال الترميم الأخير للجامع (١٩٩٢- ١٩٩٤) م.

قبّة الساعات: يُعتقد أنها تعود للعهد الفاطمي، وكانت تُسمى قبّة (زين العابدين) وُضعت فيها–سابقاً- عدّة أنواعٍ من الساعات، لذلك سُمّيت بهذا الاسم.

كما يوجد أيضاً داخل صحن الجامع عمودان ينتهيان برأسين من النحاس مزخرفين، كانا يستعملان للإضاءة.

د- حـرم المسـجـد:

هو الجزء الداخلي من المسجد ، يقع في الجهة الجنوبية منه، ويتكوّن من ثلاثة ممرّات متوازيةٍ ذوات أعمدةٍ وأقواسٍ ، ويقع في الجهة الشرقية من الحرم «ضريح النبي يحيى» عليه السلام، كما توجد بئر ماءٍ قديمةٌ محاطةٌ بعمودين نفيسين،

صورة من حرم المسجد

وهي غير مستعملة اليوم، كما يوجد داخل الحرم أربعة محاريب للدلالة على المذاهب الإسلامية الأربعة، وكان لكل محرابٍ إمامه ومُدَرّسوه، وهذه المحاريب هي:

١- محراب الصحابة: أو محراب المالكية، في الجهة الشرقية من الحرم.
٢- محراب الخطيب: أو محراب الشافعية، وهو المحراب الرئيسي للمسجد، أنشئ عند بناء الجامع أيام الخليفة «الوليد بن عبد الملك» وإلى جانبه منبر الخطيب.
٣- محراب الحنفية: أنشئ في العهد المملوكي.
٤- محراب الحنابلة: أنشئ أيضاً في العهد المملوكي.

وقد شبّه الناس حرمَ المسجد بـ(النسر) ممدود الجناحين، وقبّة المسجد تشكّل رأس هذا النسر، لذلك عُرفت بقبّة النسر، وهي ترتفع عن أرض الحرم ٣٦م تقريباً.

هـ- المشاهد والمآذن:

ضمّ المسجد أربع صالاتٍ واسعةً، سُمّيت (المشاهد) بأسماء الخلفاء الراشدين الأربعة.

أما مآذن الجامع فهي ثلاثٌ:

١- مئذنة عيسى .
٢- مئذنة قايتابي .
٣- مئذنة العروس .

كنيسة المريمية

(كنيسة المريمية) كبرى كنائس دمشق، تقع قرب قوس (التترابيل) في (الشارع المستقيم) وتعدّ من أقدم كنائس دمشق وأجملها، لذلك حرص الناس على زيارتها، وأداء الصلاة فيها.

و<<مريم>> اسم (السيدةالعذراء) وهي في الأصل كلمةٌ آراميةٌ، وصفةٌ مؤنّثة بمعنى: نقية أو طاهرة. وتعدّ هذه الكاتدرائية من أهمّ المواقع الأثرية المسيحية وأجملها، ليس في دمشق فحسب، وإنما في بلاد الشام بأسرها ، يعود تاريخها إلى القرن الأول المسيحي، ويرتبط تاريخها العريق بتاريخ دمشق، أقدم مدن العالم قاطبة . وهي أول كنيسةٍ أرثوذكسيةٍ أوجدها القديس «حنانيا الرسول» أول أسقفٍ على دمشق في بيته، سمّاها المؤمنون باسمه. وهناك من يقول إنها أقيمت فيما بعد في القرن الثاني الميلادي على أنقاض هيكلٍ وثنيّ، على اسم الصليب المقدّس. وقد جعلها المسيحيون كاتدرائيةً المدينة، حيث إن أسقف دمشق كان يلي بطريرك أنطاكية من حيث الترتيب الأسقفي.

دخلت الجيوش العربية الإسلامية دمشق عام ٦٣٥م من بابين: الباب الشرقي بقيادة «خالد بن الوليد» عنوةً وحرباً، ومن باب الجابية (الغربي) بقيادة «أبي عبيدة بن الجرّاح»

صُلحاً بوساطة «سرجون النصراني» جدّ «القديس يوحنا الدمشقي» .

كنيسة المريمية

والتقى الجيشانِ عند المئذنة البيضاء بجوار (الدار البطريركية الأنطاكية حالياً/ كنيسة مريم) فأُغلقت الكنيسة، وعُدّت من أملاك الدولة، لوقوعها على الحدّ الفاصل بين دخول جناحي جيش المسلمين صلحاً وحرباً. وكانت الكنائس الواقعة في شرق المدينة، حيث فُتحت المدينة حرباً، قد حُوّلت إلى مساجد، بينما بقيت الكنائس الواقعة في غرب المدينة ،

حيث دخل «أبو عبيدة» صلحاً ، بأيدي أصحابها، وكان عددها خمس عشرة كنيسةً، بينها كاتدرائية «القديس يوحنا المعمدان»

أما دار الأسقفية فقد بقيت مغلقةً حتى عام ٧٠٦م حيث أعادها «الوليد» للأرثوذكس بقوله: ««إننا نعوّض عليكم عن كنيسة يحيى بكنيسة مريم»» .وكان ذلك تعويضاً عن تحويل كاتدرائية المعمدان إلى الجامع الأموي، وعندها جدّد الأرثوذكس أسقفيتهم مرَّة ثانية وجعلوها بجانب كنيسة مريم.

التَّكيَّةُ السُّليْمانيَّة

يتميَّز بناؤها بجمالِ قُبَّتِهِ، وتَنَاظُرِ مِئْذَنَتَيْها الرَّشيقَتَيْنِ، وتوالِي أرْوِقَتِها،وسَعَــةِ بُحَيْرتِها، وكَثْرَةِ أزهارِها. وهي من أجْمل عمــارات العهد العُثمانِي، بُنيت بأمر «السلطان سليمــان القانونِي» عام ١٥٥٤ ولذلك ينسب اسْمها إليه، أنشئت علَى بقعةٍ كان يقومُ عليها (القصرُ الأبلق) وهو قصرٌ شهِيرٌ للملك الظـاهر بِيبرس، والتكيةُ من تصميم المعماري الشهير «سنــان» وأبرز ما فيها رشاقةُ هندستها، ومئذنتـاها الباسقتـان النَّحيلتان، وهِي قسمان:

- التكية الكُبرى: وتتألَّفُ من مسجدٍ ومدرسـةٍ وساحةٍ كبيرة.

- التكية الصُّغرى: وتلاصق الكبرى، وتتألف من حرم للصلاة، وباحةٍ واسعةٍ تُحيط بِها أروقةٌ وغرفٌ، وقد أصبحتَ اليوم مقرًّا لسوق الصناعات اليدويَّة.

ريف دمشق

يقول الخوارزمي في «غوطة دمشق»: «قد رأيتها كلها، فكانت غوطة دمشق أطيبها وأحسنها، ولم أميّز بين رياضها المزخرفة بالأنوار والأزاهير، وبين غدرانها المعمورة بطيور الماء التي هي أحسن من التدارج والطواويس، ولم أشبهها بالجنة، وصورتُها منقوشةٌ على وجه الأرض!» .

والغوطة هي جزءٌ من ريف دمشق الذي يتميّز بروعة مناخه، وجمال طبيعته، وعذوبة مياه ينابيعه وعيونه ، وتنوّع ثماره.

غوطة دمشق

كما تتميّز بمواقعها الأثرية، التي تعود إلى عصور ما قبل التاريخ ، حيث كهف (اسكفتا) في يبرود ، و(تل الرماد) في ضواحي قطنا ، ومدينة (آبيلا) الأثرية في سوق وادي بردى. وثمة مبانٍ أثريةٌ مثل أماكن العبادة في الضمير، وخان العروس ، ودير صيدنايا, وكنائس معلولا، ودير مار موسى الحبشي، وكنيسة مار سركيس، ودير مار يعقوب في قارة ، وكاتدرائية يبرود وغيرها.

وريف دمشق مجموعة من البلدان والقرى السياحية والاصطيافية ، مثل الزبداني ، بلودان ، صيدنايا ، معلولا ، بقين ، عين الفيجة ، عين الخضراء ، يبرود ، النبك ، فضلاً عن غوطة دمشق الشرقية وسهل الزبداني الذي يحتضن نبع بردى الذي كان يروي دمشق وغوطتها .

وبلودان مصيفٌ جميلٌ يرتفع عن سطح البحر ١٥٠٠ متر ، و(بقين) التي تقع ما بين مرتفعات الزبداني وبلودان .
فيما تقع (عرنة) في حضن جبل الشيخ على ارتفاع ١٤٠٠ م فوق سطح البحر، وتشتهر بغزارة ينابيعها التي كانت تربو على الثلاثمئة ، وتتجمّع لتشكل نهر الأعوج ،وفيها أشجار الكرز والدراق والتفاح وحقول البطيخ .

وتقع بلدة (صيدنايا) على بعد ٣٠ كم من دمشق ، ترتفع نحو ١٣١٣م .عن سطح البحر ، وتتميز بديرها المشهور بأيقونته العجائبية ، وفيها كنسية (صوفيا) و(دير الشيروبيم) الذي بني في القرن الثالث الميلادي ، ويرتفع ألفي متر عن سطح البحر. لهذا كله يحرص السياح والزوار والمصطافون على زيارة المدينة والأماكن المقدسة فيها .

كنيسة صيدنايا

وتبعد (دير عطية) عن دمشق ٩٠كم إلى الشمال الشرقي، تشتهر بمتحفها الجميل وطراز بنائها الحديث .

و(قارة) بلدة سياحية أثرية تشتهر برسوم جدارية في كنيسة (القديس مار سركيس) ، وفيها (دير مار يعقوب) الذي يضم أجمل الرسوم الجدارية من القرن الثاني عشر الميلادي .

و(الضمير) بلدة تقع على طريق دمشق – بغداد ، تبعد عن دمشق حوالي ٤٢ كم ، تشتهر بمعبدها الأثري .
وهناك العديد من القرى والمدن الهامة من الناحية الأثرية والسياحية مثل : النبك ، عربين ، قطنا ، دروشا ، سعسع ، خان الشيح ، والكسوة .
وتشتهر الغوطة الشرقية ببساتين ورياض غنّاء تحتضن أشجار المشمش والـدراق والتفاح والإجـاص وغيرها من الأشجار المثمرة .

السيدة زينب

إذا ذُكر ريف دمشق، فلابدّ أن تُذكر بلدة (السيدة زينب) التي تقع في سهلٍ فسيحٍ منبسطٍ، في الجهة الجنوبية الشرقية لدمشق، كانت تسمّى سابقاً قرية (الرواية) ويُطلق عليها اليوم اسم (قبر الست) . وقد سُمَّيت باسم (السيدة زينب) نسبة للسيدة «زينب ابنة الإمام علي بن أبي طالب» رضي الله عنهما، وحفيدة النبي «محمد» صلى الله عليه وسلم، ووليدة ابنته «فاطمة الزهراء «رضي الله عنها، وفي القرية/البلدة، مقامُها الشهير .

يقع المسجد في الجهة الغربية تقريباً من البلدة، ويتألّف من باحةٍ واسعةٍ، وله مدخلان: مدخلٌ شماليّ، ومدخلٌ غربيّ يتصل بالسوق الكبير للبلدة، والمدخلان يوصلان إلى المقام فالحرم . وفي الطرف الشمالي والغربي للساحة غرفٌ لمبيت الزائرين،وهناك رواقٌ كبيرٌ يحيط بهذه الغرف .

أما الحرم، فله بابٌ مصفّح بالنحاس الأصفر المنقوش، وأمام بابه ساحةٌ واسعةٌ يعلوها رواقٌ جميلٌ، وفي الطرف الغربي مئذنةٌ مـدوَّرة متوسطة الارتفاع، وأرض الحرم مفروشةٌ بالرخام الإيطالي الأبيض، أما الضريح فيقع تحت القبّة، يُسوّره قفصٌ متقن الصنعة، ذو حلقاتٍ صغيرة الحجم من الفضة الخالصة،

صُنع في مدينة (كراتشي) في باكستان سنة ١٩٥٤ .

وفي داخل الضريح يقع الصندوق الخشبي المستعمل كغطاءٍ فوق قبر السيدة، وهو من الأبنوس الفخم المحزّز، وقد طُعم بالعاج وخيوط الذهب، يحيط به سورٌ من البلّور، مما جعله آيةً جماليةً في الفن الإسلامي..

جامع السيدة زينب

حَمّامات دمشق

أعطى الإنسان المياه اهتماماً كبيراً، فأقام مدنه قرب منابع المياه ومجاريها، وعمد إلى الاغتسال فيها منذ ظهوره على سطح الأرض.. ومع تدرّجه في الحضارة، استخدم الحمّامات التي احتلّت مركزاً مرموقاً في مخطّطات المدن، ولاسيما في سورية.

ودمشق التي عُرفت على مرّ العصور بكثرة الأنهار، وجريان الماء في قنواتها، اشتهرت بحمّاماتها المنتشرة عند المساجد والمرافق الحيوية البارزة، والتي تُعدّ من المظاهر الفنية، وملتقىً للحياة الاجتماعية فيها.

امتازت حمّامات دمشق بطراز عمارتها وزخارفها الفنية ونقوشها، ونظام توزيع المياه الحارّة والباردة فيها، القائمة على قواعد هندسيةٍ في غاية البراعة والدقّة. فضلاً عن ترصيع أرضها بالرخام المشقّف، وعقود الجصّ المزخرف، النافرة الموشّاة بالرسوم والتزيينات في أطراف قبابها وزواياها.

ارتبط عدد الحمّامات في دمشق بعدد سكّانها وتوسّعها العمراني، لذلك تناقص عدد تلك الحمّامات في مابين القرنين الرابع عشر والسابع عشر للميلاد، ثم بدأ العدد بعد ذلك بالتزايد حتى بلغ ٧٧ حمَّاما، وقيل مائتي حمِّام، ثم تراجع دور الحمّامات إبّان الحكم العثماني، وازداد تراجعاً خلال الحرب العالمية الثانية، حيث أدّى ضيق الحياة المادية إلى توقّف عددٍ كبيرٍ منها ثم صار يُنظر إلى الحمَّامات على أنها نوعٌ من الرِفاهيَة، بعد أن كان دخولها متاحاً للجميع لينخفض عددها مؤخّرا إلى خمسة عشر حمَّاما، منها ثمانية حمّامات، مازالت في الخدمة، تعمل بصورةٍ جيدةٍ حتى اليوم.

كان أهل الشام في الماضي يجعلون من الحمّام منارةً للحي، حيث يجتمع الوجهاء في (البرّاني) للنظر في القضايا المتعلّقة بأبناء الحيّ، كما أن الحمّام كان يشكّل مكاناً جيداً لعقد الصفقات بين تجار دمشق والغرباء.

يتألّف الحمّام عادةً من ثلاثة أقسام هي: البرّاني والوسطاني والجواني الحارّ، فضلاً عن (الإقميَم، أو القمّيم) مكان الوقود لتسخين الماء.

يشكّل البرّاني باحةً مسقوفةً بعقودٍ تتلاقى في قبّه ذات رقبةٍ بها نوافذ مزخرفةٌ بتقسيمات أشكالٍ هندسيةٍ، مزيَّنة بالزجاج الملوّن... ويتوسّط أرض البرّاني بحرةٌ (بركة) تتشامخ فيها نوافير المياه، وجدرانُ البرّاني مزيَّنة برسومٍ بشريةٍ وحيوانيةٍ

ونباتيةٍ، تكاد تدبّ فيها الحياة، وتُزيّن الجدران بالمرايا والسجّاد، وبكتاباتٍ شعريةٍ وحكم، وعبارات ترحيب بالزُبُن. وقد نُصبت على أرض البرّانيً مصاطب فُرشت بالأرائك والوسائد والمساند المجلّلة بأغطيةٍ مخمليةٍ... وفي هذا القسم يخلع المرء ثيابة ويستبدلها بمئزرٍ.

كما أن البرّاني يعدّ المكان المخصّص للمجالسة والمسامرة وإقامة الحفلات في مناسبات الاستحمام.

احدى الحمامات في دمشق

أما الوسطاني، فهو على شكل بهوٍ معتدل الحرارة، مسقوفٌ على الأغلب بعقودٍ ذات فتحاتٍ، يقرب قطر الواحد منها

من /١٥سم/ وهي مغطّاة بالزجاج الملوّن على شكل قنديلٍ مقلوبٍ، وتُعرف بالقمرية، ومهمّتها توفير النور للوسطاني في النّهار.

وعلى جانبي الوسطاني مصاطب يستريح عليها المرء خلال أوقات الاستحمام، كما يتوسط هذا القسم ممرّ بيتِ النار، الذي يوفّر الدفء لهذا القسم، وهو بعرض مترٍ إلى مترٍ ونصف المتر.

والجوّاني هو القسم الداخلي الحارّ من الحمّام، ويكون على شكل إيوانين على جانبي ممرّ بيت النار، ويتفرّع عن كل إيوانٍ عددٌ من المقاصير الخاصّة للاستحمام، كما أن لكل من الإيوانين عدداً من الأجران للاستحمام المشترك...

وكلٌّ من الوسطاني والجواني مبلّط بتشكيلاتٍ من الرخام الملوّن أو الحجر الوردي، وتحت ممرّ بيت النار المبلّط بالحجر الأسود والوردي تجري المياه الحارّة إلى الأجران للاستحمام، وفي بداية بيت النار هذا مصطبةٌ تتصل بكوّة تؤدّي إلى مكان تسخين المياه، وعلى بلاط هذا الممرّ، وفوق مصطبة بيت النار يجلس المستحمّون المصابون بوعكاتٍ صحيةٍ ناجمةٍ عن البرد بهدف الاستطباب.

وسقفُ كلٍّ من إيواني الجوّاني مقبَّب على شكل (جمالون) يحتوي على فتحاتٍ للقمريات البلّورية، أما مقاصير الجواني فسقفُ كلٍ منها يشكّل قبَّة مقرنصة بقمرياتٍ متعدِّدة.

ونظراً للتبدّل والتطوّر الذي طرأ على الحياة الاجتماعية، وظهور بدائل لحمّام السوق التقليدي، ونظراً لاندثار عددٍ من الحمّامات، فقد ازداد الاهتمام بهذه الحمّامات، وأدخلتها الدولة ضمن الأماكن الأثرية التي لا يجوز التصرف بها، أو تغيير أوصافها المعمارية ومعالمها التاريخية.

أسواق دمشق

أُقيمت الأسواق قديماً قرب المعابد، أما في العهد العثماني فقد زاد الإهتمام بها، وأُنشئ بعضها خارج سور المدينة القديم، تلبيةً لحاجاتٍ اقتصاديةٍ واجتماعيةٍ للمدينة، كما جُدّدت الأسواق القديمة الرابضة داخل السور، وأعيد بناؤها، مع الحفاظ على رونقها وأصالتها.

وأسواق دمشق مغطّاة، تحجب شمس الصيف الحارّة، وأمطار الشتاء الغزيرة أحياناً، ليتمكّن الناس من السير في هذه الأسواق التي تَخصّص كلٌ منها بمنتج معيّن، أو بضاعةٍ معيّنة، وقد أخذ السوق اسمه من المهنة، كـ (سوق البزورية) و(سوق النحاسين) و(سوق الحرير) و(سوق الصاغة) وغيرها.. كما أخذ عددٌ من الأسواق تسميته من أسماء ولاة دمشق في العهد العثماني الذين عملوا على تشييدها، كـ»(سوق الحميدية) و(سوق مدحت باشا) و(مردم بك) وما زالت هذه الأسواق تعجّ بحركة الناس والباعة، وقد غدت مقصد الزائرين لدمشق، ومحلّ إعجاب السيّاح حتى أصبحت من أشهر معالم المدينة السياحية.

وقد بلغ عدد الأسواق الدمشقية ٥٥ سوقاً، منها ٢٥ سوقاً مغطاةٌ بالمعدن، أو بالأقواس الحجرية. في حين أُزيلت سقوف بعض الأسواق، كسوق المسكية لإظهار جمال جدران الجامع

الأموي، وسوق الخجا لكشف جدار قلعة دمشق.

والطريف في هذه الأسواق، أنها منشآتٌ متكاملةٌ يتصل بعضها ببعضٍ، كأسواق الصناعات المتقاربة، فسوقُ مجلّدي الكتب قرب سوق باعة الكتب، وقرب سوق الورّاقين، وكانت تقع كلها، وحتى زمنٍ قريبٍ، إلى الغربِ من الجامع الأموي، تحت اسم (المسكية) قبل أن تنتقل حديثاً كل هذه الصناعات إلى منطقة (الحلبوني) في مركز المدينة.

سوق الحميدية:

على الرغم من تعدّد الأسواق وتخصّصها بأصنافٍ معيِّنة من السلع، فإن سوق الحميدية يبقى الأشهر والأكبر، والأقرب إلى وسط دمشق من باقي الأسواق، قيل فيه: «إنه من أشهر أسواق العالم وأجملها»،يبدو أشبه بمعرضٍ دائم للفنون التقليدية الشرقية. وقد خصّه السائح «بورتر» بزيارته، والقول: «يجب على كل سائح زيارة سوق الحميدية، لتأمّل الأزياء العديدة، والمعروضاتً الثمينة من السيوف الدمشقية، والبورسلين القديم، والدروع، والأسلحة المطعمّة بالذهب والفضة، والثياب الموشّاة بالذهب، وأنواع السجّاد الشرقي الثمين..».

وعلى الرغم من التطوّر والتحديث الذي لحق بهذه الأسواق، فإن (الحميدية) يبقى من أهمّ الأسواق القديمة، ومن أبرز معالم المدينة التاريخية ، يمتدّ حالياً من نهاية شارع النصر، وينتهي عند منطقة المسكية، ويوازي الجدار الجنوبي لقلعة دمشق بطول ٦٠٠م وعرض ١٥ م تقريباً.

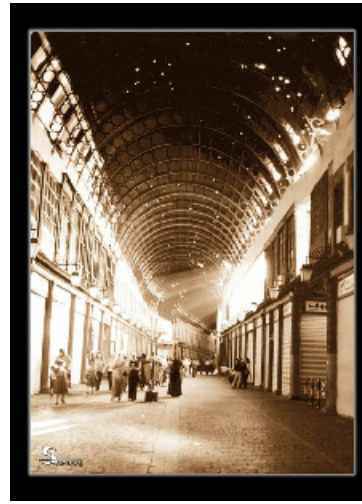

سوق الحميدية

كان قديماً مركز (السوق الجديدة) أو (سوق الأروام) ، (اليونان القادمين من بلاد الروم) ، وظلّت هذه التسمية سائدةً، حتى الربع الأول من القرن العشرين، وهو موضع القسم الغربي من سوق الحميدية اليوم . وفي عهد «السلطان عبد

الحميد الأول» قام «الوالي محمد باشا العظم» ببناء القسم الأول من السوق الجديد مكان سوق الأروام، من منطقة باب النصر (سابقاً) حتى مدخل سوق العصرونية ، وانتهى البناء عام ١١٩٥هـ/١٧٨٠م.

أما القسم الثاني من السوق الممتدّ من العصرونية حتى المسكية وباب البريد، فقد تمّ بناؤه حوالي عام ١٣٠١هـ/ ١٨٨٣م في عهد «السلطان عبد الحميد الثاني» أيام «الوالي راشد ناشد باشا» . وبعد الانتهاء من بناء القسم الثاني، تمّ وضع سقفٍ خشبيّ لقسمي السوق الممتدّ من المسكية، عند الجامع الأموي، حتى المدخل الغربي، عند نهاية شارع النصرٍ حالياً، عام ١٣٠٢هـ/ ١٨٨٤م، وقد سُمَّي سوق الحميدية نسبة إلى السلطانين الأول والثاني.

سوق مدحت باشا:

ويُسمى (السوق الطويل) وهو مركزٌ تجاري هامّ، لا يقلّ أهميةً عن سوق الحميدية، أنشأه والي دمشق «مدحة باشا» عام ١٨٧٨ قرب باب الجابية، وهو قريبٌ من سوق الحميدية، ويسير بموازاته، حيث تفصل بينهما أسواقٌ صغيرةٌ وتقوم على جانبي السوق حوانيت صغيرةُ يبيع معظمها المنتجات النسيجية من الأقمشة الحريرية والعباءات والكوفيات والعُقُل، وكانت قديماً تبيع الطرابيش . ويثير السوق ذكريات قصة (بولس وحنانيا) و(الشارع المستقيم) ، إذ تقع في نهايته ، قرب

الباب الشرقي ، (كنيسة حنانيا) التي يعود تاريخها إلى العهد البيزنطي، ويحرص الجميع على زيارتها، والاطّلاع على قصة «بولس» واعتناقه المسيحية، بمساعدة (حنانيا)...

ولا يزال السوق محافظاً على تخصّصه ببيع المنسوجات، وهو مغطّى بساترٍ معدنيّ، حتى منتصفه، تتخلّله فتحاتٌ تدخل منها أشعة الشمسٍ والهواء للإنارة وتلطيف الجو.. والنصف الثاني منه مكشوفٌ عند محالّ المصنوعات النحاسية المحفورة والمزخرفة بخيوط الفضة والنحاس والزخرفة، حتى الباب الشرقي.

في السوق، العديدُ من الأماكن والمواقع والبيوت القديمة التي تعود لأسرٍ عريقةٍ، وعلى جانبي السوق توجد أجمل البيوت الدمشقيةً العلمية، ومنها (مكتب عنبر) وهو بيتٌ دمشقيٌ عريقٌ، غدا في النصف الأول من القرن العشرين صرحاً علميًّا، تخرّج منه خيرة معلمي دمشق، وقادة النهضة الوطنية الحديثة في السياسة والأدب والفكر والفن، وقد أصبح اليوم قصراً للثقافة.

يضمّ السوق عدداً من الخانات القديمة التي مازال التجار يستخدمونها كمستودعاتٍ لبضائعهم، ويتفرّع منه (سوق الصوف) و(سوق الخياطين) وأسواقٌ أخرى..

سوق البزورية:

وهو من الأسواق الدمشقية الشهيرة، يربط ما بين سوقي الحميدية ومدحت باشا، مغطّى بساترٍ هرميّ معدنيّ، كان يسمى (سوق العطارين) لتخصّصه واشتهاره بأريجه المتميّز، وببيع التوابل والعطور والأعشاب الطبية والشموع ....الخ .

والمميّز في وسط السوق، وجود أشهر حمّام دمشقيّ قديم، هو (حمام نور الدين الشهيد) أحد الحمّامات العامة المتبقية من مائتي حمّام كانت عامرةً في دمشق منذ القرن الثاني عشر، وظلّت قيد الاستعمال حتى وقتٍ قريبٍ .

سو ق البزورية

وإلى جنوب السوق يقع (البيمارستان النوري) أحد روائع (الأتابكة) ، ويضمّ اليوم (متحف الطبّ والعلوم عند العرب) كما يضمّ أجمل نماذج الخطوط التي استُعملت لأوّل مرّة في أثناء حكم «نور الدين» بدلاً عن الخطوط الكوفية.

وتوجد في السوق أكبر خانات دمشق وأجملها (خان أسعد باشا) .كما يوجد في بداية السوق أكبر قصرٍ دمشقيّ قديم، هو (قصر العظم) الشهير، وهو نموذجٌ مدهشٌ للبيت الدمَشقي القديم، حيث يشعر فيه المرء بالانشراح والنشوة، لما يحوي من حجارةٍ جميلةٍ وتماثيل، ورخـام ملوّن، وأزهـارٍ تحيط ببحيرةٍ صغيرةٍ ذات نافورةٍ ترشّ المَاء، تتوسّط باحةَ البيت، ويشغل البيت/القصر اليومَ متحف الفنون والتقاليد الشعبية.

وبين سوق الحميدية والبزورية يوجد سوق الصاغة، الذي تخصّص أصحابه، منذ القديم، وحتى اليوم، ببيع المنتجات الذهبية والفضية، مع التركيز على عرض المصوغات المصنّعة يدوياً.

سوق الحرير:

ويسمّى (سوق النسوان) لاختصاصه ببيع اللوازم النسوية من أمتعةٍ وخيوطٍ وعطوراتٍ، ولوازم الخياطة، والمطرّزات، وألبسة الأفراح . وقد شاعت على ألسنة الناس في الآونة الأخيرة تسمية السوق بـ (سوق تفضّلي يا ست، تفضلي يا

خانم) كنايةً عن إلحاح الباعة الذين يقفون أمام حوانيتهم، يدعون كل سيدةٍ تمرّ في السوق لدخول حوانيتهم للشراء ، في محاولةٍ تقليديةٍ للتغلّب على المنافسة النشطة المحيطة.

سوق القباقبية:

تأتي شهرة السوق من كثرة عدد السياح الذين يمرّون به يومياً، حيث يأتيه القادم من سوق الحميدية، والمتّجه باتجاه أحياء دمشق القديمة، وبخاصةٍ (حارة النوفرة) حيث يوجد (مقهى النوفرة) الشهير بجذبه للسياح الغربيين، وقد أعاد بحلّته الجديدة اليوم للناس شيئاً من نشوة الماضي ، حيث يجلس (الحكواتي) بزيّه الشعبي ، ويسرد على الروّاد سيرة «عنترة العبسي» أو»الزير سالم» أو»تغريبة بني هلال».

ويلاحظ أن (حارة القيمرية) القريبة، قد تحوّل معظم بيوتها القديمة إلى (مقاهي) و(كافتريا) و(مطاعم) و(مراسم فنيةٍ) و(صالات عرض) للفنانين التشكيليين.

يعود سوق القبّاقبية للعهد المملوكي، وكان متخصَّصا بصنع (القباقيب) الشامية المعروفة بصوت إيقاعها المميّز على الأرض، وهناك حوانيت لبيع منتجاتٍ فضيةٍ، وأخرى لبيع (الآنتيكا) وشرائها.

سوق المهن اليدوية:

أقيم حديثاً في مدخل (التكية السليمانية الصغرى)، ويضمّ أشهر الصناعات الزجاجية والفخارية والخشبية والعاجية والصدفية، والحلّيّ ونسيج البروكار الدمشقي... والطريف فيه، أن الزائر يرى بعينيه مهارة الصنّاع الفنيين، وهم يبدعون روائعهم بأدواتهم البسيطة، مما يترك في النفس انطباعاً جمالياً يثير الدهشة.

سوق السروجية:

وهو مغطى بساتر قوسيّ من الحديد والتوتياء، ويسير محاذياً لجدار قلعة دمشق الشمالي، ويعود للعهد المملوكي، وكان متخصّصا في الماضي ببيع سروج الخيل، وهوادج الجمال، وتباع فيه حالياً بعض هذه المنتجات، على الرغم مع انتشار صناعة الجلديات وبيعها فيه.

سوق باب سريجة:

مغطّى بساتر معدنيّ، وهو سوقٌ شعبي محلّيّ لبيع الخضار والفاكهة، والمنتجات الغذائية، واللحوم والأسماك والدجاج، وسواها من المنتوجات الريفية الزراعية . وهناك أسواق أخرى كثيرة :

سوق القوافين / سوق باب الجابية/سوق مردم بك /سوق الصقالين /سوق السكرية/ السوق الطويل /سوق الجمرك /سوق الصالحية/ سوق الذراع /سوق القطن /سوق السنانية /سوق

القاشاني/سوق العصرونية/ سوق الجزماتية /سوق الخجا/ سوق الخياطين / سوق الجوخ/ سوق العبي (العباءات) / سوق المناخلية/سوق الهال / سوق السلاح / سوق الصابون

ومع أن هذه الأسواق قد فقدت بعضاً من أهميتها بنشوء الأسواق العصرية الحديثة، إلاّ أن الأسواق القديمة ظلّت تحتفظ بكثيرٍ من خصوصياتها، وقد استطاعت أن تلعب دوراً هاماً، تجارياً وثقافياً واجتماعياً، لا يمكن تجاوزه والاستغناء عنه، وعملت على إيجاد دَورٍ سياحيّ وثقافي يوازي ما فقدته لحساب الحداثة والعصرنة.

المُتحف الوطني

وهو المتحف المركزي في سوريا، من أهمّ المعالم السياحية المعاصرة في دمشق، بل هو واحدٌ من أهمّ متاحف العالم، نظراً لما يحتويه من التماثيل والحلي والأسلحة واللوحات والمنحوتات والمخطوطات.. حُفظت فيه الآثار التي تمثّل الحضارات منذ عصور ما قبل التاريخ، وقد عُرضت فيه بحسب تسلسلها، ومكان اكتشافها، وطبيعة مادتها، ويضمّ المتحف حالياً خمسة أقسامٍ رئيسة.

المتحف الوطني

يحتوي المتحف على أجمل لوحات الموزاييك التي تنقل إلينا الميثولوجيا اليونانية والرومانية، وثمة لوحاتٌ ومنحوتاتٌ ولُقىً تظهر مدى تطوّر الطبّ والفنّ وصناعة الزجاج والبرونز من خلال اللقى الأثرية المعروضة، ويُدهش الزائر أمام الحضارات السورية القديمة التي تكاد تنطق بالأفكار والمبادئ القديمة، وتعرض لأهمّ اختراع في تاريخ الإنسانية ألا وهو الأبجدية التي غيّرت مسرى ألتاريخ نحو التطوّر، إلى جانب الاهتمام بالموسيقا والشعائر الدينية التي تجسّدت من خلال المصاحف المخطوطة، والسيوف وأدوات القتال البدائية، والأوعية الفخارية والتماثيل.

نهر بردى

كان نهر بردى يشقّ وسط المدينة ويرويها من غربها إلى شرقها. ثم يودّع الجميع، ويتابع رحلته إلى الغوطة الشرقية ليرويَ البساتين والكروم. وهناك يحطّ رحاله متعباً في أحضان البحيرة..

كتب عنه المؤرّخون والرحّالة الشرقيون والغربيون . فالرحالة «ابن بطوطة» فضّل دمشق على جميع البلاد، وأطلق عليها تسمية «جنة المشرق» ووصفها بأنها «أرضٌ سئمت من كثرة الماء، حتى اشتاقت إلى الظمأ» .

نهرٌ سمّاه الأراميون (أبانا وأمنا) لأن حياتهم تناسلت منه، ووصفه اليونانيون بـ (مجرى الذهب) دلالةً على صفاء مائه، وبهاء جريانه، وأطلقوا عليه اسم «(باراذيوس) التي جاء منها اللفظ العربي بردى. وتعني (الفردوس) .

كانت الشام فرحاً من ظلٍّ وندىً، أيامَ كانت أنهار مياهها تتدفّق صاخبةً لتصبّ في المجرى الرئيسي (بردى) النابع من بلدة الزبداني، بين سلسلتي جبال حرمون والقلمون (٤٥ كم غرب دمشق) ، ليقطع ٧١ كم قبل أن ينتهيَ في بحيرة العتيبة¬ التي جفت عام ١٩٥٥ ،¬ينحدر خلالها، وقبل دخوله دمشق شرقاً ليمرّ في عين الفيجة، ويمتزج بمائها الغزير، رافدةً بردى إلى جانب مياه ينابيع كثيرةٍ تنتظره على الطريق،

ألطفها وأصفاها مياه عين الخضرة، وبعدها يتجاوز النهر منطقة الهامة ليبدأ بالتفرّع إلى سبعة جداول تغلغل كالشرايين في جسد المدينة حاملةً معها الحياة والخضرة والنماء، من دون أن يجد سبيله إلى بحرٍ بعيدٍ، كما هي عادة مسيرة الأنهار، وكأنه هبة الطبيعة لهذه المنطقة من بلاد الشام، لتقوم أقدم مدينةٍ مأهولة في العالم.

نهر بردى

نبذة عن المكتبة

تعتبر مكتبة الأسد المكتبة الوطنية للقطر العربي السوري وقد تم افتتاحها رسمياً يوم ١٩٨٤/١١/١٦ وتقع المكتبة في الطرف الغربي من مدينة دمشق وتطل على ساحة الأمويين، وتبلغ المساحة الإجمالية للمبنى ٢٢ ألف متر مربع، وتحيط بها حدائق بمساحة ٦ آلاف متر مربع، وتتألف من تسعة طوابق.

وكونها المكتبة الوطنية للقطر العربي السوري فمن أولى مهامها جمع كافة أشكال التراث الثقافي من كتب ودوريات وغيرها من أوعية المعلومات وتنظيم هذه المواد وتيسير الانتفاع بها للباحثين والدارسين. وتولي المكتبة اهتماماً بالتراث الثقافي العربي المعاصر لجمع مختارات منه في كافة المواضيع وللحفاظ على التراث العربي القديم (المخطوطات) تسعى المكتبة إلى جمع ما تيسر من هذه المخطوطات في القطر العربي السوري وصيانتها بالتعقيم والترميم وحفظها في مستودعات ملائمة.

نظام المكتبة :

تفتح المكتبة أبوابها للقراء اعتباراً من الساعة التاسعة صباحاً و حتى الثامنة مساءاً و يمكن أن تستقبل في آن واحد ٧٥٠ قارئاً في كافة قاعات المطالعة .

لا يسمح نظام المكتبة للباحثين بالاطلاع على النسخ الأصلية للمخطوطات و إنما يتم إطلاعهم من خلال النسخ المصورة لها و يسمح للباحث بالاطلاع على المخطوط الأصلي في المرحلة الأخيرة من بحثه .

كما يسمح نظام المكتبة باستخدام غرف المطالعة الفردية بالنسبة للباحثين الذين يرغبون بحجز مراجع خاصة لهم لإنجاز بحث معين خلال فترة محددة.

أما المراجع الإلكترونية فيمكن الاطلاع على محتواها في قاعة خدمة المعلومات من خلال حواسب متنوعة .

تتم الإفادة من مراجع المكتبة من قبل جميع المواطنين و الزوار الذين تجاوزت أعمارهم سن الثامنة عشرة و تصدر لهؤلاء بطاقة اشتراك خاصة سنوية مجانية .

مكتبة الاسد

معالم الدار
تطل دار الأسد للثقافة و الفنون على ساحة الأمويين من الزاوية الجنوبية الشرقية، خلف النصب التذكاري للسيف الدمشقي، متقابلة مع مكتبة الأسد و مجاورة للهيئة العامة للإذاعة و التلفزيون و مشرفة على نهر بردى.
و هي تشكل كتلة معمارية واحدة مع المعهد العالي للفنونٍ المسرحية، و المعهد العالي للموسيقا و مدرسة الباليه محتضنةً فناءاً داخلياً متعدد الوظائف.
طراز الدار المعماري قائم على إدخال العمارة الشرقية الدمشقية القديمة بالعمارةٍ الحديثة، بتوظيف عناصر كثيرة من العمارة العربية توظيفاً معاصراً حديثاً.
تبلغ مساحة الدار ٤٥٠٠٠٠ م٢، و هي تشتمل على الكتلة المعمارية و ما يحيط بها من حدائق و طرقات و مواقف للسيارات و محطة توليد الكهرباء، إضافة إلى مسرح الهواء الطلق .

مقتنيات الدار الفنية

تعرض دار الأسد للثقافة و الفنون مجموعة من الأعمال الفنية التشكيلية الهامة في أبهائها و مكاتبها، إضافة إلى مجموعة من المنحوتات للفنانين السوريين ،بالإضافة إلى صالة للمعارض الفنية مهيأة لاستضافة معارض فنية.

معالم الدار الداخلية

تحتضن الدار ثلاث قاعات شرف، و صالة للمعارض الفنية، و ثلاث صالات مسرحية و هي: صالة الأوبـرا و صالة الدراما و الصالة متعددة الاستعمالات، و يتبع هذا الصالات قاعات للتمرين و الإحماء و غرف النجوم و المرافق التابعة لهذه الغرف كغرف الماكياج و الأزياء و تصفيف الشعر و الحمامات.

وتضم الداركذلك مجموعة من الو رشات الفنية و التقنية مثل: ورشة الديكور و النجارة، ورشة الحدادة، ورشة الدهان، ورشة التكنيك وورشة الخياطة. إضافة إلى مجموعة من المستودعات لتخزين: الديكور، الإكسسوارات، الأزياء، الآلات الموسيقية و أجهزة الإضاءة و الصوت.

أبهاء الدخول والاستقبال:
ترتبط الصالات بأبهاء مشتركة للدخول والاستقبال عبر مناسيبها المختلفة بحيث يمكن الوصول عبرها إلى الصالات الثلاث ومن مختلف المناسيب, وإن المرافق المتوفرة فيها تتيح للجمهور خدمات متكاملة بدأ من الاستقبال مع استلام المعاطف وكوى قطع التذاكر والاستعلامات ثم مكتبة تضم مجموعة من الكتب حول المسرح والموسيقى والفنون المختلفة مع مركز بيع الهدايا والتذكارات ثم المشارب والاستراحات.
كما يوجد ركن مخصص لإقامة المعارض الفنية.
وقد لحظ ممر خاص للمعاقين يسمح بالوصول لمنطقة المصاعد ومنها لمختلف الصالات.